أفلا يتدبرون القرآن

إعداد الشّيخ :

خالد رمضان محمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أ ن محمداً عبده ورسوله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) .

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا)) .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا))

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد أما بعد –

فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلّى الله عليه وسلّم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ثم أما بعد :

فإن القرآن هو النور المبين الذي من اتبعه هداه الله سبل السلام هذا القرآن يهدي الى الرشد وهو الوصول إلى الحق من أقرب الطرق و أيسرها .هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . هذا القرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ، وهدىً وموعظةٌ للمتقين وذكرٌ للعالمين أجمعين كما أخبر بذلك رب العالمين .

قال تعالى : (قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَه سُبُلَ السَّلاَمِ..)

وقال سبحانه : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)

وقال سبحانه : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

وقال سبحانه : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

وقال سبحانه : (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)

وقال سبحانه : (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ)

فمن أراد السير إلى الله على صراط مستقيم واضح بيّن موصل للمقصود المراد من أقرب طريق وأيسرها وأقومها فعليه بالنور المبين و الحبل المتين القرآن الكريم .وأما الّذين تركوا القرآن وأجهدوا أنفسهم في البحث عن طريق آخر يوصلهم إلى الله فهم مساكين . و يا حسرتهم عندما يجدون أن ما كانوا يبحثون عنه كان في متناول أيديهم .

فمن أراد أن ينال بركة هذا الكتاب العظيم فليتلوه حق تلاوته وليتدبره وليتأمله ويعطيه قلبه وفكره حتى يفتح الله عليه من أسرار معانيه وبركات ما يحتويه .من أجل هذا كان هذا البحث اليسير لعله يفتح بابًا من تدبر الكتاب العزيز . تضمن دررًا من أقوال السلف وأحوالهم مع القرآن . وتضمن الوسائل المعينة على التدبر كما تضمن مسائل منها هل يعذر أحد بترك التدبر؟ وهل كثرة القراءة مع السرعة أفضل أم قلة القراءة مع التدبر والتأمل أفضل ؟

و أقوال أهل العلم في ذلك أسأل الله أن ينفع الكاتب والسامع والقارئ وأن يخلص نوايانا له وحده إنه على كل شيء قادر سبحانه.

(١) فضل تلاوة القرآن الكريم والحث على تعلمه وتدبره :

قال تعالى : ((اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ..)) .

وقال سبحانه : ((وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ.)).

وقال سبحانه : ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)) .

وقال سبحانه : ((وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)) .

وقال سبحانه ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ..)) .

وروى الإمام مسلم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : ((اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه)) .

وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)) .

وعن خباب بن الأرت قال : ((تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه)) .

وروى الإمام مسلم أيضًا من حديث النواس بن سمعان أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما)

وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) رواه البخاري .

في حديث عمر بن خطاب رضي الله عنه : ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين)) .

((اقرأ وارتق ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها)) رواه مسلم .

في حديث بن عمر : ((لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل و آناء النهار)) . متفق عليه .

في حديث ابن عباس رضي الله عنه : ((إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

(٢) كيف نتلو القرآن حق تلاوته :

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسير قوله تعالى :
((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ..)) قال : أي يتبعونه حق اتباعه والتلاوة الاتباع فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وهؤلاء هم السعداء .

لكن الاتباع لا يكون إلا بعد التدبر والتعقل للمراد من آياته . كما قال ابن عثيمين في قوله تعالى : ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)) قال : ((لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)) أي يتفهمون معانيها ((وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)) أي يعملون بها ، يقول الشيخ وإنما أخر العمل عن التدبر لأنه لا يمكن العمل إلا بعد التدبر . فيكون المعنى أن الله أنزل هذا الكتاب ليتدبره العباد ويترتب على ذلك أنهم يتبعونه ويعملون بما فيه . ويقول أيضًا ((وينبغي للإنسان إذا قرأ القرآن أن يترسل فيه ولا يتعجل فإن بعض الناس يهذه حتى يسقط بعض حروفه فهذا ما تلاه كما أنزل)) .

قال تعالى : ((وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ..))

قال السعدي : ((عَلَى مُكْثٍ)) أي على مهل ليتدبروه ويتفكروا في معانيه ويستخرجوا علومه.

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ((وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)) أي اقرأه على مهل فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره .

يقول ابن القيم : التلاوة الحقيقية هي تلاوة المعنى واتباعه تصديقًا بخبره وانقيادًا له حيث قادك انقدت فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه وتلاوة معناه وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ و أهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة .

إذًا من حقق لفظ القرآن ولم يتدبره ويتأثر به ويتبعه فما تلاه حق تلاوته وربما كانت تلاوته وبالًا عليه ولذا جاء في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال ((إن أناسًا من أمتي سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرمية هم شرار الخلق والخليقة)) .

أما من رتّل بلسانه وتفكر وتدبّر بعقله وتأثّر وخشع بقلبه وانقاد بجوارحه فهذا الذي تلاه حق تلاوته .

(٣) معنى التّدبّر وعلاماته :

التّدبّر: هو التأمّل والتّفكر في آيات القرآن من أجل فهمه إدراك المراد منه و استخراج حكمه وأسراره وتأثّر القلب به .
يقول ابن القيّم : وأما التأمّل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على فهمه وتعقلّه وهو المقصود بإنزاله لا مجرّد تلاوته بلا فهم أو تدبّر .قال تعالى : ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)).
والحد الأدنى للتدبّر هو حضور القلب عند القراءة وأن يعقل الإنسان ما يردّده بلسانه وهذا لا يحتاج إلى وقت إضافي إنّما يحتاج التّهيئة النّفسيّة والذّهنية وحضور القلب مع التّلاوة والاجتهاد في الدّعاء والتّضرّع إلى الله أن يمنّ عليه بالفهم الصّحيح مع الرّجوع إلى كتب التّفسير واللّغة لفهم ما اشكل عليه

□

علامات التّدبّر :

١. البكاء من خشية الله .

٢. الخشوع .

٣. قشعريرة الجلد

٤. زيادة الإيمان .

٥. التّفاعل مع الآيات والسّجود عند آيات السّجود .

قال تعالى : ((إذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَــاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)).

وقال سبحانه : ((وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَان يَبْكُون وَيَزِيــدُهُمْ خُشُــوعًا)) .

وقال سبحانه : ((وَإذَا تُتلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُم إيمَانًا)).

وقال سبحانه : ((اللهُّ نَزَّلَ أحْسَنَ الْحَدِيث كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ..)) .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : ((كان أصحاب النبي إذا قرئ القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم ..)) تفسـير القرطبي .

و أما التّفاعل مع الآيات فقد كان النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا مر بآية فيها تعوذ استعاذ بالله وإذا مر بآية فيها تسبيح سبّح وهكذا .

(٤) مفهوم خاطئ للتّدبّر :

إن مما يصرف كثيراً من المسلمين عن تدبر القرآن اعتقادهم صعوبة فهم القرآن وأن هذا من القول على الله بلا علم وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن وانصراف عن الغاية التي من أجلها أنزل. قال ابن عبيدة : ((ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر فيقول هذه مخاطرة حتى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا)) .

قال ابن القيم : ((من قال أن له (يعنى القران) تأولًا لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه في قلبه منه حرج)) . التباين في أقسام القرآن

وقال الصنعاني : في إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد : فإن من قرع سمعه قوله تعالى : ((وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِّ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أجْرًا))

يفهم معناه دون أن يعرف أن (مَا) كلمة شرط. و(تُقَدِّمُوا) مجزوم بها لأنه شرطها ، و (تَجِدُوهُ) مجزوم بها لأنه جوابها ومثلها كثير

... ..

فيا ليت شعري ما الذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها .. حتى جعلت كالمقصورات في الخيام ولم يبق لنا إلا ترديد ألفاظها وحروفها .

قال الشاطبي في الموافقات : ((فمن حيث كان القرآن معجزًا أفحم الفصحاء أعجز البلغاء أن يأتوا بمثله فذلك لا يخرجه عن كونه عربيًا جاريًا على أساليب كلام العرب ميسرًا للفهم عن الله ما أمر به ونهى)) .

ثم إن عدد آيات القرآن ٦٢٣٦ وعدد آيات الأحكام ٥٠٠ آية ففهم آيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والعلم بالله واليوم الآخر لا يحتاج إلى فهم المصطلحات العلمية الدقيقة من بلاغة و .. فمعظم القرآن بيّن واضح .

أمثلة للتدبر :

حينما سمع الأعرابي قول الله ((فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْض إِنَّهُ لَحَقّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُم تَنطِقُونَ))

قال الأعرابي : من أغضب الجليل حتى حلف .

وحينما أخطأ إمام في قراءة آية النحل ((فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ..)) قرأها من تحتهم ، وصوب له خطأه امرأة عجوز لا تقرأ ولا تكتب . إذا بالتدبر كيف يخر السقف من تحت .

ولما سمع أعرابي قارئًا يقرأ ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ..... واللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) قال الأعرابي : لو غفر ما قطع و إنما عز فحكم فقطع ((وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) .

إذًا فالقرآن واضح وبيّن ظاهر وتدبره ليس صعبًا بحيث تغلق عقولنا ونعلق فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير فنعمم حكم الأقل على الأكثر وهو نوع من التسويف في تدبر القرآن .

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسير والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتمام به .

وإذا سلمنا بهذه الحجة فإن العقل والمنطق والحكمة أنك إذا أشكل عليك معنى آية تبادر وتسارع للبحث عن معناها والمراد بها لا أن تغلق عقلك فتقرأ دون تدبر أو تترك القراءة .

ونختم بكلام القرطبي رحمه الله لتعلم أنه لا عذر لأحد في ترك التدبر الذي لا يعذر أحد بجهالته .يقول: حث الله على تأمل مواعظ القرآن وبين أنه لا عذر في تلاك التدبر فإنه لو خوطب بالقرآن جبل مع تركيب العقل فيه لانقاد لمواعظه فمهما كان وضع الإنسان وحجم ثقافته لن يكون مثل الجبل . فكل من له عقل يدبر به أمور حياته ويميز بين النافع والضار قادر على تدبر القرآن .

(٥) أقوال السلف وأحوالهم في تدبر القرآن :

١. روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها .

٢. وروى مسلم من حديث حذيفة قال : صليت مع النّبي صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح و إذا مر بسؤال سأل و إذا مر بتعوذ تعوذ.

٣. قال أبو ذر رضي الله عنه : قام النبي صلّى الله عليه وسلّم بآية حتى أصبح يرددها ((إِن تُعَذِّبْهُم فَإِنَّهُم عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُم فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) . حسنه الألباني والأرناؤوط .

٤ . و عن عباد بن حمزة قال : دخلت على أسماء رضي الله عنها و هي تقرأ : ((فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ)) قال : فوقفت عليها فجعلت تستعيذ و تدعو ، قال عباد فذهبت إلى السوق فقضيت حاجة ثم رجعت و هي فيها بعد تستعيذ و تدعو .

٥ . ولما قال ابن سنان لابن مسعود أني قرأت المفصل البارحة . قال له ابن مسعود : هذا كهذ الشعر ؟

٦ . وقال في موضع آخر : لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

٧. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ((لا خير في قراءة ليس فيها تدبر))

٨ . قال أبو حمزة : قلت لابن عباس أني سريع القراءة أقرأ القرآن في مقام . فقال ابن عباس : لأن أقرأ فأرتلها وأتدبرها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كما تقول .

٩ . قيل لزيد بن ثابت رضي الله عنه : كيف ترى قراءة القرآن في سبع ؟ فقال : ذلك حسن ، ولأن أقرأه في نصف شهر وعشرين يومًا أحب إلي . وسلني لم ذلك ؟ قال فإني سائلك ؟ قال زيد : لكي أتدبره وأقف عليه .

١٠ . و قال ابن قدامة : ((وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر و أن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه و يتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة و إن لم يحصل إلا بترديد الآية فليرددها)) .

١١ . قال النووي : ((وكان جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة يتدبرها)) . مختصر مفتاح القاصدين .

١٢ . قال ابن القيم : هذه عادة السلف يردد الواحد منهم الآية إلى الصباح .

١٣ . و عن القاسم بن أيوب أن سعيد بن جبير ردد هذه الآية

((وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ)) . بضعًا و عشرين مرة .

١٤ . وكان مالك بن دينار يقول : يا حملة القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟

١٥ . يقول أبو حامد الغزالي : ورد في التوراة : يا عبدي أما تستحي مني ؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق تقعد لأجله تقرأه وتتدبره حرفًا حرفًا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي أنزلته إليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه ثم أنت معرض عنها أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟ يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بقلبك فإن تكلم متكلم وشغلك شاغل عن حديثه فأشرت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك ؟

١٦ . و قال محمد بن كعب القرظي في الزهد لابن مبارك : لأن أقرأ

((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ)) و ((الْقَارِعَةُ)) أرددهما و أتفكر فيهما أحب إلي من أن أبيت أهُذُّوا القرآن .

١٧ . وقد قام أبو حنيفة ليلة كاملة بهذه الآية : ((بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)) . يرددها ويبكي ويتضرع .

١٨ . قال أبو سليمان الداراني: ((ربما أقوم خمس ليالي متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها ولو لا أن الله يمن علي بالغفلة لما تعديت ذلك الآية طول عمري لأني لي من كل تدبر علمًا جديداً ، والقرآن لا تنقضي عجائبه)) .

١٩ . وقال أحد السلف : آية أقرأها لا أعقلها ولا أتفهم معناها لا أعد لها ثوابًا .

٢٠ . قال أحمد بن الحواري : ((إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آيةً فيحار عقلي فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن))

٢١. وقال أحدهم : إني لأفتح السورة فيمنعني بعض ما أشاهد فيها من الفراغ منها حتى يطلع الفجر .

٢٢ . يقول ابن القيم : فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه وجمع الفكر على معاني آياته فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتها وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها وتعرفه طري أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم .

فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب ولهذا قال ابن مسعود

((لا تهذوا القرآن هذو الشعر ...)).

وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه والطريق الموصل إليه وما له من الكرامة إذا قدم ليه . وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى وهي ما يدعو إليه الشيطان والطريق الموصلة إليه وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه .

فهذه ستة أمور أخرى ضرورية للعبد معرفتها ومشاهدتها ومطالعتها فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم فتريه الحق حقاً والباطل باطلا وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعه وانشراحًا وبهجة وسرورًا فيصير في شأن والناس في شأن .

ويقول في موضوع آخر : لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها من كل ما سواها إذا قرأها بتفكر حتى مر بآية هو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليله . فقراءة آية بتفكر وفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية حتى إلى الصباح وقد ثبت ذلك عن النبي ((إِن تُعَذِّبْهُمْ ...)) .

(٦) تساؤل هام : أننا لو قرأنا القرآن بهذه الطريقة لن نتمكن من الانتهاء من وردنا اليومي فكيف نجمع بين تدبر القرآن وبين ختمه ولو مرة كل شهر وكذلك مراجعته ؟

نقول أن المقصد الأساسي من قراءة القرآن هو تدبره كما قال تعالى : ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)) فلا بديل عن ذلك مهما كانت الأسباب وسل نفسك لقد ختمت القرآن عدة مرات خاصة في شهر رمضان وتنافست في ذلك فأي استفادة حقيقية استفدتها من ذلك.

ماذا غيّر القرآن فيك ؟

كم مرة دمعت عينك ؟

كم مرة اقشعر جلدك ؟

كم مرة خشع قلبك ؟ إن قراءة القرآن بلا تدبر كالنخالة كبيرة الحجم قيلة الفائدة وهي حجة على العبد يوم القيامة ، لكن يمكن أن يجعل الإنسان الأصل في قراءته التدبر ثم يجعل وقت للمراجعة يقرأ فيها قراءة سريعة من باب مراجعة الحفظ .

(٧) قد يقول قائل إن القراءة السريعة أفضل حيث أن كل حرف بعشر حسنات كما جاء في الحديث أما القراءة القليلة وإن كان فيها تدبر لكنها أقل في الأجر !

نقول أن ابن حجر . رحمه الله . أجاب عن هذا فقال : إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة وقد تكون قسمة الواحدة أكثر وقد يكون العكس .

والصحيح : أن من أسرع في القراءة فقد اقتصر على مقصد واحد وهو ثواب القراءة .

ومن رتل وتأمل وتدبر فقد حقق المقاصد كلها وكل انتفاعه بالقرآن واتبع هدى النبي وصحابته الكرام .

ثم تأمل هذا الأثر عن تميم الداري أنه أتى المقام فاستفتح الجاثية فلما بلغ ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُم سَاء مَا يَحْكُمُونَ)) فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح فتأمل مع أن الركعة في الحرم بمائة ألف إلا أنه بقي في ركعة واحدة حتى الصباح بسبب تدبره وتأمله في آية.

فهذا يدل على أن السلف كانوا يفقهون أن التدبر أفضل من القراءة الكثيرة بغير تدبر . ولذا جاء في الحديث : ((إن الرجل ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها

إلا ثلثها إلا ربعها ... إلى أن قال إلا عشرها)) وذلك بحسب ما عقل منها وتدبر فيها من الأذكار والقرآن وخشع قلبه فيها.

فكذلك قراءة القرآن يكون الثواب فيها بحسب حضور القلب وتأثره وخشوعه وتدبره لمعاني القرآن .

ولذلك قال ابن القيم كما مر : ((قراءة آية بتفكر وفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح))

وقد ثبت ذلك عن إمام السلف محمد صلّى الله عليه وسلّم : أنه قام ليلة كاملة إلى الصباح بآية ((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) .

(٨) الوسائل المعينة على تدبر القرآن :

إن الانتقال من مرحلة قراءة القرآن باللسان فقطٍ إلى مرحلة حضور القلب عند تلاوته وتدبر معانيه يحتاج إلى صبر وجهد خاصة في البداية ويحتج كذلك إلى تدريب وممارسة عملية فكما نتدرب على القراءة الصحيحة وتطبيق أحكام التلاوة علينا أن نتدرب على كيفية تدبر القرآن واستخراج المعاني منه وتحويلها إلى واجبات عملية .

وهذه الوسائل اسباب والفضل كله بيده الله وحده لكن حسبنا ان نبذل الجهد ونستفرغ الوسع اخذين بالأسباب التي توصلنا إلى تدبر كتاب الله عندئذ كما قال الله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

واليك الشروع في هذه الوسائل:

{{١}} . غرس حب القرآن في القلب:

حب القرآن عمل قلبي والقلب هو آلة الفهم والعقل والحب .

قال تعالى : ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ..)) و قال تعالى : ((إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً ان يفقهوه ..))

و قال تعالى : ((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ ..)) .

والقلب بيد الله وحده ، قال تعالى : ((وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ))

. علاقة حب القرآن بالتدبر :

من المعلوم أن القلب إذا أحب شيئًا تعلق به واشتاق إليه وشغف به وانقطع عما سواه والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته واجتمع على فهمه ووعيه فيحصل بذلك التدبر والفهم .

و بالعكس إن لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعبًا بل لا يكون إلا بالمجاهدة .

فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أعلى مستويات التدبر

. علامات حب القلب للقرآن :

١) الفرح بلقائه .
٢) الجلوس معه أوقات طويلة .
٣) الشوق إليه متى بعد العبد عنه لعوارض .
٤) العمل به (امتثال أمره واجتناب نهيه) .

قال أبو عبيد : لا يسأل عبدٌ نفسه إلا بالقرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله .

. كيف نغرس حب القرآن في قلوبنا:

اعظم سبيل الى ذلك هو التضرع الى من بيده ملكوت القلوب وبيده ملكوت كل شيء ان يجعل القران العظيم ربيع قلبك .

ورد في مسند أحمد وابن حيان وصححه الالباني في السلسة الصحيحة من حديث بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ((ما قال عبد قطُّ إذا أصابه همٌ أو حزن " اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته

في كتابك او علمته احدا من خلقك ان تجعل القران العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همى" إلا أذهب الله همه و أبدله مكان حزنه فرحا ، قالوا يا رسول الله ينبغي لنا ان نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : أجل ينبغي لمن سمعه أن يتعلمه)) .

وهذا الدعاء مستجاب لأنه يتضمن ثلاثة أمور :

١) التوسل بالعبودية لله تعالى .
٢) التوسل بجميع أسماء الله الحسنى .
٣) الوعد من النبي بأن من دعا به أن يذهب الله همه ويبدله مكان حزنه فرحا .

فعلى المسلم أن يكرر هذا الدعاء ويجتهد أن يكون سؤاله بصدق وتضرع وإلحاح وحرص شديد و رجاء أن يعطى ذلك وعليه بالصبر والاستمرار حتى يستجيب الله له ويحصل له مطلوبه .

و من علامات استجابة هذا الدعاء أن يشرح الله صدرك لكثرة قراءته وعندها عليك أن تحمد الله وتسأله دوام هذه النعمة .

{{ ٢ }} . تحديد واستحضار أهداف قراءة القرآن " النية " :

ما الذي تنوي بقراءتك للقرآن ؟ النية فتوحات من الله فعلى قدر نياتك في العمل يكون الأجر فقد يكون لك في العمل الواحد أكثر من نية مثل الصدقة على قريب فهي صدقة وصلة فاجتمعت فيها نيتان فلاشك ان اجرها اكبر من اجر من تصدق على قريب لكنه نوى الصلة فقط او الصدقة فقط

فقراءة القرآن يجتمع فيها خمسة مقاصد او نيات ينبغي لقارئ القرآن أن يستحضرها عند قراءته للقرآن ويحتسبها على الله وهي :

١) الثواب ٢) الشفاء ٣) العلم ٤) العمل ٥) المناجاة

أولاً : نية الثواب :

أن تقرأ محتسبًا أن لكل حرف عشر حسنات كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف و لام حرف وميم حرف)) .

وكما جاء عن البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران).

وروى البخاري من حديث عثمان : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

وعن مسلم من حديث أبي أمامة (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه).

وعن مسلم وابن ماجة من حديث عمر قال : ((أما إن نبيكم صلّى الله عليه وسلّم قد قال : " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين)) .

وفي الزهد لابن المبارك قال أبو هريرة رضي الله عنه : ((البيت الذي يتلى فيه كتاب الله كثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين
و البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله و قل خيره وحضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة)) .

وغير هذه النصوص كثير والنية كما يقول مشايخنا فتوحات من الله فقد يفتح الله لعبد ما في عمل بسبب النية مالا يفتح لغيره، فانوِ عند قراءتك للقرآن أن لكل حرف عشر حسنات وأن يكون القرآن شفيعًا لك يوم القيامة وأن يرفعك الله به و ..... .

ثانيًا : بنية الشفاء :

انوِ عند قراءتك مع تحصيل الثواب أن يشفيك الله بالقرآن . قال تعالى : ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ..)) وقال سبحانه : ((قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ..)) فالقرآن شفاء للقلب من أمراض الشهوات والشبهات وللصدر من أمراض الهم والقلق والحزن والوساوس وللبدن من الأمراض البدنية. ويكون ذلك بأن تحتسب على الله وتنوي بقراءتك أن يشفيك الله و أنت تقوم بالقرآن أو تتلوه آناء الليل وآناء النهار وكذلك بالرقية به. وأنت تتعامل مباشرة مع القرآن فلا تذهب لأحد ليقرأ عليك بل اقرأ أنت بنفسك على نفسك وثق بالله وأحسن الظن به يحصل لك الشفاء بإذن الله .

ثالثًا : نية العلم (التدبر) :

فتحصيل العلم من القرآن لا يكون إلا بالتدبر وهو المقصود الأعظم من انزال القرآن.

قال تعالى : ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ..))

وقال تعالى ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)).

من أقوال السلف :

1. **قال ابن مسعود :** ((إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين)).
2. **قال مسروق بن الأجدع وهو من كبار تابعي الكوفة وأجمعهم لعلم الصحابة :** ((ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن قصر علمنا عنه)).
3. **قال الحسن بن علي رضي الله عنه :**

((إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار)).

4. **وقال ابن عمر :** لقد عشنا دهرًا طويلًا و إن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلّى الله عليه وسلّم فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل .
5. **وعنه أيضًا قال :** ((عليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظًا لمن عقل)) .
6. **قال أحمد بن الحوارى :** ((إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيحير عقلي وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ؟ أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه فتلذذوا به واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحًا بما قد رزقوا)) .

7. **قال ابن القيم :**

- **كيفية تحقيق هذا المقصد :**

والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيانِ

علم بأوصاف الإله و فعله وكذلك الأسماء للرحمنِ

والامر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثـاني

والكل في القرآن والسنة التي جاءت عن المبعوث بالقرآنِ

إن مما يعين على تحقيق هذا المقصد أن تقرأ القرآن كقراءة الطالب لكتابه ليلة الامتحان قراءة مركزة واعية كقراءة من يستعد ليختبر فيه اختباراً دقيقا .

إن القرآن هو الذي يجب الرجوع إليه في كل موقف من مواقف حياتنا وعليه فمن اراد أن يكون شخصاً ناجحًا في الحياة فعليه بحفظه وفهم نصوصه ليمكنه الحصول على الإجابات الفورية والسريعة والصحيحة في كل حالة تمر به في حياته .

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الصور والنماذج لهؤلاء الناجحين ومن ذلك :

١) جواب النبي صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر رضي الله عنه إذ هما في الغار ((لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا)).
٢) وجواب موسى عليه السّلام لقومه ((كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين)) .
٣) وجواب يوسف عليه السّلام لما دُعي للفحشاء ((مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ...)).

إنها ردود سريعة وقوية حاضرة في أصعب المواقف التي تمر بالإنسان ويطيش بها عقله إنه الثبات والرسوخ ممن حفظوا كتاب ربهم وفقهوا ما فيه .

❖ لم لا تكون الدعوة بالقرآن :

لو تأملنا في حوار النبي صلّى الله عليه وسلّم مع المدعوين وماذا كان يقول لهم لوجدنا أنه في كثير من المواقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، ويحدث هذا أثرًا عظيمًا في النفوس .

لقد كانت قراءة النبي لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك وتبين له الحق ولا يقل أحد أن هذا خاص بالنبي صلّى الله عليه وسلّم بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك . ومن الآيات الدالة على هذا المعنى :

- ((فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ))
- ((وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ))
- ((وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً))
- ((وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ))

إن البعض قد يعتذر قائلًا :

إن ما تدعو إليه صعب ونحن نشاهد الناس يتأثرون بالقصص والأمثلة والنماذج الحية أكثر من تأثرهم بالقرآن .

فأقول : إن هذا هو أساس المشكلة التي نحاول علاجها في هذا البحث وهو لماذا نتأثر بالقصص والحكايات ولا نتأثر بالآيات ؟

إن بعض الدعاة ممن يكثر القصص يتعلل بقوله : إن الناس لا يطيقون أو يفهمون ذلك ، فنحن نقرب لهم الأمر بالقصص والحكايات و الأدبيات التي تؤثر في نفوسهم . وهذا غير صحيح فالعيب في الداعية نفسه وليس في الطريقة أو المنهج وليس العيب في الناس، بل إنه متى استشعر الداعية عظمة القرآن وكأنه معايشًا له متعمقا فيه فإن أثر قراءته لبضع آيات لا يقارن بأثر قصة أو طرفة أو مشهد من هنا وهناك وجرب تجد .

رابعًا : قراءة القرآن بقصد العمل به :

١) **قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :** ((يا حملة القرآن أو يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم و وافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم من مجالسهم تلك إلى الله تعالى))

٢) **عن الحسن البصري قال : ((أُمر الناس أن يعملوا بالقرآن فاتخذوا تلاوته عملًا))**

٣) **قال الحسن بن علي رضي الله عنه :** ((اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فليست بقراءة))

٤) **وقال أيضًا :** ((إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه و إن لم يكن قرأه))

٥) **عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان وابن مسعود و أبي بن كعب رضي الله عنه :** (أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فتعلمنا القرآن و العمل جميعًا) **يقول الآجري : ((متى أتصفح القرآن لأؤدب به نفسى متى أكون من المتقين ؟ متى أكون من الخاشعين ؟ متى أكون من الصابرين ؟ متى أزهد في الدنيا ؟ متى أنهى نفسي عن الهوى ؟))**

٦) **قال الحسن البصري :** ((إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ، وما تدبر آياته إلا باتباعه وما هو بحفظ حروفه و إضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا وقد و الله أسقطه كله ، ما يرى القرآن له في خلق و لا عمل حتى إن أحدهم ليقول : إني لأقرأ السورة في نفس ! و الله ما هؤلاء بالقراء و لا بالعلماء و لا الحكماء و لا الورعة ، متى كان القراء مثل هذا ؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء))

٧) **سئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى :**

٨) ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) **ما كان خلق رسول الله ؟**

فقالت : (كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه)

٩) **جاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال : ((أن ابني هذا قد جمع القرآن ، فقال : اللهم غفرًا إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع))**

١٠) **عن حذيفة رضي الله عنه قال : ((يا معشر القراءِ استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا فإن أخذتم يمينًا و شمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا))**

❖ كيفية تطبيق هذا المقصد :

. أن تقرأ القرآن بنية العمل ، بنية البحث عن علم لتعمل به فتقف عند آياته تنظر ماذا تطلب منك ، هل أمر تؤمر به أو شيء تنهى عنه أو فضيلة تدعى للتحلي بها أو خطر يحيق بك تحذر منه وهكذا فإن القرآن هو الدليل العملي لتشغيل النفس وصيانتها ، ينبغي أن يكون قريبًا من كل مسلم يربي به نفسه ويهذبها .

. أن تقرأ القرآن بنية وقصد من يبحث عن حل لمشكلة أو إصلاح خلل يبحث عن تفسير لظاهرة أو علاج لمرض أو تحليل لحالة من الحالات.

خامسًا : قراءة القرآن بقصد مناجاة الله :

١) **عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلّى الله عليه وسلّم يقول :** ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصّوت يجهر بالقرآن))
ومعنى أذن : أي استمع .

٢) **عن البياض رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال:**

((إن المصلي يناجي ربه عز وجل فلينظر ما يناجيه ولا

يجهر بعضكم على بعض بالقرآن))

٣) **عن عبد الله بن المبارك قال :** ((سألت سفيان الثوري قلت : الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شيء ينوي بقراءته وصلاته ؟ قال : ينوي أنه يناجي ربه)) .

٤) **قال ابن القيم : ((إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه و ألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم)) .**

❖ كيفية تطبيق هذا المقصد :

تذكر أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس معان مجموعة في قولك

((حرس مع)) :

الحاء : أن الله يحبك حين تقرأ القرآن .

الراء : يراك . أن تستشعر أن الله يراك ((الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)) .

السين : يسمك . عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ((لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته)) .

الميم : يمدحك .

العين : يعطيك .

فاستحضر هذه المعاني عند القراءة ولا تدعها تفوت عليك فالمسلم عند قراءته للقرآن عليه أن يستحضر هذه المعاني جميعًا حين قراءته للقرآن لكي يشعر بلذة

القراءة حينما يستحضر أن الله يراه ويستمع لقراءته و هو يقرأ و يمدحه و يثني عليه و يباهي به ملائكته المقربين .

عن حذيفة رضي الله عنه قال : ((صليت مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ذات لليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح و إذا مر بسؤال سأل و إذا مر بتعوذ تعوذ)) .

هكذا تكون المناجاة بالقرآن إنها قراءة حية يعي فيها العبد ماذا يقرأ ؟ ولماذا يقرأ ؟ ومن يخاطب بقراءته ؟ وماذا يحتاج منه ؟ وما يجب له نحوه من التعظيم والتقديس .

تذكر دائمًا إذا مررت بصفة من صفات النجاح و السعادة أن تسأل الله تعالى إياها و إذا مررت بصفة من صفات الشقاء و الفشل والنكد والضيق أن تستعيذ بالله من شرها . و إن تربية النفس عليٍ هذا المقاصد حين تلاوة القرآن الكريم يقوي فيها مراقبة الله تعالى فيكون حافظًا لها عند الفتن .

{{ ٣ }} . حضور القلب :

قال تعالى : ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)) قيل في تفسيرها أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردًا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره و قد كان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء ؟ فقال : أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي .

{{ ٤ }} . التفهم :

وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها . وهناك آيات تشتمل على ذكر صفات لله عز وجل وأسمائه ((الملك - القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار)) فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات ، و هناك آيات تشتمل على أفعاله تعالى مثل : خلق السماوات والارض ومراحل خلق الإنسان فيفهم منها صفات الله عز وجل إذا الفعل يدل على الفاعل .

وهناك آيات تشتمل على القصص وذكر أحوال الأنبياء وتكذيب قومهم لهم ففيهم صفة الاستغناء لله عز وجل ويتشعر الخوف من سطوته ونقمته عند ذكره إهلاك المكذبين لرسلهم .

{{ ٥ }} . التخلي عن موانع الفهم : ومنها :

١) أن يكون الهم منصرفًا إلى تحقيق الحروف لإخراجها من مخارجها و الانشغال بذلك عن ملاحظة المعنى .

٢) أن يكون مصرًا على ذنب أو متصفًا بكبر فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه .

قد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير :

قال تعالى :((وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ)) .

قال تعالى : ((تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)) .

{{ ٦ }} . التخصيص :

وهو ان يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فغن سمع أمرًا أو نهيًا استشعر وتخل أنه هو المنهى والمأمور وكذلك في الوعد والعيد وإن سمع قصص الأولين أخذ منها العبرة .

وقد قال محمد بن كعب القرظي في قول الله ((وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ)) من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله فتشعر وأنت تقرأ أن الله يكلمك يأمرك ينهاك يعدك يتوعدك .

{{ ٧ }} . التأثر :

وهو أن يتأثر قلبك بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال و وجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء ولذا جاء في الحديث : ((إن أحسن الناس صوتًا من إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله)) رواه ابن ماجة وصححه الألباني .

وقال وهيب بن الورد : سمعنا المواعظ والأحاديث فما وجدنا أرق للقلوب وأشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره . فعند الوعيد يتضاءل القارئ من خيفته وعند الوعد يستبشر وعند ذكر الله وأسمائه وصفاته يخضع وينكسر استشعارًا لعظمة الله وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفًا منها و يستشعر أنه منها وهذا هو التخصيص وقد قرأ ابن مسعود على النبي رضي الله عنه سورة النساء فلما وصل إلى قوله تعالى
((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاء شَهِيدًا)) قال ابن مسعود التفت إلى النبي فرأيت عيناه تذرفان بالدمع . رواه البخاري . وهذا لأن تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية فحدث التأثر والبكاء .

فلابد أن يشترك في التلاوة القلب واللسان والجوارح فحظ اللسان الترتيل وحظ العقل التفسير حظ القلب التأثر والاتعاظ فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ .

{{ ٨ }} ـ التكرار والتوقف :

أي التوقف حين القراءة أو تكرار الآية لاستحضار المعاني والتعمق فيها .

١) قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((لا تهذوه هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل قفوا على عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)) .

٢) قال ابن القيم : ((هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح)) .

٣) قال النووي : ((وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظمها يتدبرها عند القراءة)) .

٤) و قال ابن قدامة : ((وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر و أن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه و يتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة و إن لم يحصل إلا بترديد الآية فليرددها)) .

❖ نماذج عملية :

١) عن حذيفة رضي الله عنه قال : ((صليت مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح و إذا مر بسؤال سأل و إذا مر بتعوذ تعوذ)) .

٢) قال أبو ذر رضي الله عنه : قام النبي صلّى الله عليه وسلّم بآية حتى أصبح يرددها ((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))

٣) و عن عباد بن حمزة قال : دخلت على أسماء رضي الله عنها و هي تقرأ :

((فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ)) قال : فوقفت عليها فجعلت تستعيذ و تدعو ، قال عباد فذهبت إلى السوق فقضيت حاجة ثم رجعت و هي فيها بعد تستعيذ و تدعو .

٤) و عن القاسم بن أيوب أن سعيد بن جبير ردد هذه الآية

((وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)) بضعاً و عشرين مرة .

٥) و قال محمد بن كعب القرظي : لأن أقرأ ((إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا)) و ((الْقَارِعَةُ)) أرددهما وأتفكر فيهما أحب إلي من أن أبيت أهذُّ القرآن .

٦) و ردد الحسن البصري ليلة ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)) حتى أصبح فقيل له فيم ذلك فقال : إن فيها معتبرًا ما نرفع طرقًا و لا نرده إلا وقع على نعمة و ما لا نعلمه من نعم الله أكثر .

٧) وقام تميم الداري رضي الله عنه بآية حتى أصبح ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)) .

٨) قال أبو سليمان الدّاراني : ((ربما أقوم خمس ليالي متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها ولو لا أن الله يمن علي بالغفلة لما تعديت ذلك الآية طول عمري لأني لي من كل تدبر علمًا جديدًا ، والقرآن لا تنقض عجائبه)) .

٩) وقام أبو حنيفة ليلة كاملة بهذه الآية : ((بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)) . يرددها ويبكي ويتضرع .

١٠) وقال زيد بن الكميت : ((كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة (إِذَا زُلْزِلَتِ) و أبو حنيفة خلفه فظل قائمًا إلى الصباح وهو يقول : يا من يجزي مثقال ذرة خيرًا خيرًا و يا من يجزي مثقال ذرة شرًا شرًا أجر النعمان عبدك من النار وما يقرب عنها من السوء وأدخله في سعة رحمتك)) .

هذا ما تيسر على عجل ليكون إشارة وفتح باب لتلجه مستعينا بالله ويبقى عليك بعد ذلك أن تبذل جهدك وتستفرغ وسعك بالرجوع لكتب التّدبّر وكتب التفسير واللغة وسؤال أهل العلم لتكنز حقا من أهل القرآن الّذين هم أهل الله وخاصته

أسأل الله أن يجعلنا منهم ...... اللهم أمين....وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين